

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ
 وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
 وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا
 فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا
 مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
 شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
 فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
 شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ
 مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(٢٥٣) هؤلاء الرسل الكرام فضل الله بعضهم على بعض ، بحسب ما من الله به عليهم : فمنهم من كلمه الله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله ، ومنهم من رفعه الله درجات عالية كمحمد صلى الله عليه وسلم ، بعموم رسالته ، وختم النبوة به ، وتفضيل أمته على جميع الأمم ، وغير ذلك . وأتى الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام البينات المعجزات الباهرات ، كإبراء من ولد أعمى بإذن الله تعالى ، ومن به برص بإذن الله ، وكإحيائه الموتى بإذن الله ، وأيده بجبريل عليه السلام . ولو شاء الله ألا يقتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما جاءتهم البينات ما اقتتلوا ، ولكن وقع الاختلاف بينهم : فمنهم من ثبت على إيمانه ، ومنهم من أصر على كفره . ولو شاء الله بعد ما وقع الاختلاف بينهم ، الموجب للاقتتال ، ما اقتتلوا ، ولكن الله يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به ، ويخذل من يشاء ، فيعصيه ويكفر به .

(٢٥٤) يا من آمنتم بالله وصدقتم رسوله وعملتم بهديه أخرجوا الزكاة المفروضة ، وتصدقوا مما أعطاكم الله قبل مجيء يوم

القيامة حين لا بيع فيكون ربح ، ولا مال تفتدون به أنفسكم من عذاب الله ، ولا صداقة صديق تُنقذك ، ولا شافع يملك تخفيف العذاب عنكم . والكافرون هم الظالمون المتجاوزون حدود الله .

(٢٥٥) الله الذي لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو ، الحي الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله ، القائم على كل شيء ، لا تأخذه سنة أي : نعاس ، ولا نوم ، كل ما في السموات وما في الأرض ملك له ، ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه ، محيط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلية ، وما خلفهم من الأمور الماضية ، ولا يطلع أحد من الخلق على شيء من علمه إلا بما أعلمه الله وأطلععه عليه . وسع كرسيه السموات والأرض ، والكرسي : هو موضع قدمي الرب - جل جلاله - ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه ، ولا يثقله سبحانه حفظهما ، وهو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته ، الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء . وهذه الآية أعظم آية في القرآن ، وتسمى : (آية الكرسي) .

(٢٥٦) لكمال هذا الدين واتضح آياته لا يحتاج إلى الإكراه عليه ، فالدلائل بينة يتضح بها الحق من الباطل ، والهدى من الضلال . فمن يكفر بكل ما عُبِد من دون الله ويؤمن بالله ، فقد ثبت واستقام على الطريقة المثلى ، واستمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع له . والله سميع لأقوال عباده ، عليم بأفعالهم ونياتهم ، وسيجازيهم على ذلك .

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَن ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِىْ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِىْ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(٢٥٧) الله يتولى المؤمنين بنصره وتوفيقه وحفظه ، يخرجهم من ظلمات الكفر ، إلى نور الإيمان . والذين كفروا أنصارهم وأولياؤهم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله ، يُخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر ، أولئك أصحاب النار الملازمون لها ، هم فيها باقون بقاء أبدياً لا يخرجون منها .

(٢٥٨) هل رأيت -يا محمد- أعجب من حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته ؛ لأن الله أعطاه الملك فتجبر وسأل إبراهيم : من ربك؟ فقال عليه السلام : ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا ، ويسلبها الحياة فتموت ، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة ، قال : أنا أحيي وأميت ، أي أقتل من أردت قتلته ، وأستبقي من أردت استبقائه ، فقال له إبراهيم : إن الله الذي أعبدته يأتي بالشمس من المشرق ، فهل تستطيع تغيير هذه السنة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؟ فتحيّر هذا الكافر وانقطعت حجته ، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب .

(٢٥٩) أو هل رأيت -يا محمد- مثل

الذي مرّ على قرية قد تهدمت دورها ، وخوت على عروشها ، فقال : كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ، ثم ردّ إليه روحه ، وبعث إليه من يسأله فقال : كم بقيت في هذا المكان ميتاً؟ قال : بقيت يوماً أو بعض يوم ، فأخبره بأنه بقي ميتاً مائة عام ، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه ، وكيف حفظهما الله من التغير هذه المدة الطويلة ، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظاماً متفرقة؟ وقال له : ولنجعلك آية للناس ، أي : دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت ، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض ، ويصل بعضها ببعض ، ثم يكسوها بعد الالتئام لحماً ، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما اتضح له ذلك عياناً اعترف بعظمة الله ، وأنه على كل شيء قدير ، وصار آية للناس .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ
تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا
أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطَلُوا
صَدَقَتُكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

(٢٦٠) واذكر - يا محمد - طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيفية البعث ، فقال الله له : أولم تؤمن؟ قال : بلى ، ولكن أطلب ذلك لأزداد يقيناً على يقيني ، قال : فخذ أربعة من الطير فاضممهن إليك واذبحهن وقطعهن ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم نادهن يأتينك مسرعات . فنادى إبراهيم عليه السلام ، فإذا كل جزء يعود إلى موضعه ، وإذا بها تأتي مسرعة . واعلم أن الله عزيز لا يغلبه شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

(٢٦١) ومن أعظم ما ينتفع به المؤمنون الإنفاق في سبيل الله . ومثل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة زُرعت في أرض طيبة ، فإذا بها قد أخرجت ساقاً تشعب منها سبع شعب ، لكل واحدة سنبل ، في كل سنبل مائة حبة . والله يضاعف الأجر لمن يشاء ، بحسب ما يقوم بقلب المنفق من الإيمان والإخلاص التام . وفضل الله واسع ، وهو سبحانه عليم بمن يستحقه ، مطلع على نيات عباده .

(٢٦٢) الذين يخرجون أموالهم في الجهاد وأنواع الخير ، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات مناً على من أعطوه ولا أذى بقول أو فعل يشعره بالتفضل عليه ، لهم ثوابهم العظيم عند ربهم ، ولا خوف عليهم عند مقدمهم على الله ، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم في هذه الدنيا .

(٢٦٣) كلام طيب وعفو عما بدر من السائل من إلحاف في السؤال ، خير من صدقة يتبعها من المتصدق أذى وإساءة . والله غني عن صدقات العباد ، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة .

(٢٦٤) يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تذهبوا ثواب ما تتصدقون به بالمن والأذى ، فهذا شبهه بالذي يخرج ماله ليراه الناس ، فيثبوا عليه ، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر ، فمثل ذلك مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب ، فتركه أملس لا شيء عليه ، فكذلك هؤلاء المراءون تضحل أعمالهم عند الله ، ولا يجدون شيئاً من الثواب على ما أنفقوه . والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها .

ثم ،
مائة
الله
إلى
ح له

(٢٦٥) ومثل الذين ينفقون أموالهم طلباً لرضا الله واعتقاداً راسخاً بصدق وعده ، كمثل بستان عظيم بأرض عالية طيبة هطلت عليه أمطار غزيرة ، فتضاعفت ثمراته ، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة ، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتضاعف ، كثرت أم قلت ، فالله المُطَّلِع على السرائر ، البصير بالظواهر والبواطن ، يثيب كلّاً بحسب إخلاصه .

(٢٦٦) أيرغب الواحد منكم أن يكون له بستان فيه النخيل والأعناب ، تجري من تحت أشجاره المياه العذبة ، وله فيه من كل ألوان الثمرات ، وقد بلغ الكبر ، ولا يستطيع أن يغرس مثل هذا الغرس ، وله أولاد صغار في حاجة إلى هذا البستان وفي هذه الحالة هبت عليه ريح شديدة ، فيها نار محرقة فأحرقتة؟ وهكذا حال غير المخلصين في نفقاتهم ، يأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم . وبمثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم ؛ كي تتأملوا ، فتخلصوا نفقاتكم لله .

(٢٦٧) يا من آمنتم بي واتبعتم رسلي أنفقوا من الحلال الطيب الذي كسبتموه وما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تقصدوا

الردىء منه لتعطوه الفقراء ، ولو أعطيتهم لم تأخذوه إلا إذا تفاضيتهم عما فيه من رداءة ونقص . فكيف ترضون الله ما لا ترضونه لأنفسكم؟ واعلموا أن الله الذي رزقكم غني عن صدقاتكم ، مستحق للثناء ، محمود في كل حال .

(٢٦٨) هذا البخل واختيار الردىء للصدقة من الشيطان الذي يخوفكم الفقر ، ويغريكم بالبخل ، ويأمركم بالمعاصي ومخالفة الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى يعدكم على إنفاقكم غفراناً لذنوبكم ورزقاً واسعاً . والله واسع الفضل ، عليم بالأعمال والنيات .

(٢٦٩) يؤتي الله الإصابتة في القول والفعل مَنْ يشاء من عباده ، وَمَنْ أُنْعِمَ اللهُ عليه بذلك فقد أعطاه خيراً كثيراً . وما يتذكر هذا وينتفع به إلا أصحاب العقول المستنيرة بنور الله وهدايته .

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَمَرَاتُهَا أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِصَاحِدِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
الْصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَأِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

(٢٧٠) وما أعطيتكم من مال أو غيره كثير أو قليل تتصدقون به ابتغاء مرضات الله أو أوجبتم على أنفسكم شيئاً من مال أو غيره، فإن الله يعلمه، وهو المطلع على نياتكم، وسوف يثيبكم على ذلك. ومن منع حق الله فهو ظالم، والظالمون ليس لهم أنصار يمنعونهم من عذاب الله.

(٢٧١) إن تظهروا ما تتصدقون به لله فنعمة ما تصدقتم به، وإن تسروا بها، وتعطوها الفقراء فهذا أفضل لكم؛ لأنه أبعد عن الرياء، وفي الصدقة - مع الإخلاص - محو لذنوبكم. والله الذي يعلم دقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وسيجازي كلأ بعمله.

(٢٧٢) لست - يا محمد - مسؤولاً عن توفيق الكافرين للهداية، ولكن الله يشرح صدور من يشاء لدينه، ويوفقه له. وما تبذلوا من مال يعد عليكم نفعه من الله، والمؤمنون لا ينفقون إلا طلباً لمرضاة الله. وما تنفقوا من مال - مخلصين لله - توفوا ثوابه، ولا تنقصوا شيئاً من ذلك. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٢٧٣) اجعلوا صدقاتكم لفقراء المسلمين الذين لا يستطيعون السفر؛ طلباً للرزق

لاشتغالهم بالجهاد في سبيل الله، يظنهم من لا يعرفهم غير محتاجين إلى الصدقة؛ لتعففهم عن السؤال، تعرفهم بعلاماتهم وأثار الحاجة فيهم، لا يسألون الناس بالكليّة، وإن سألوا اضطراراً لم يلحوا في السؤال. وما تنفقوا من مال في سبيل الله فلا يخفى على الله شيء منه، وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة.

(٢٧٤) الذين يخرجون أموالهم مرضاة لله ليلاً ونهاراً مسرّين ومعلنين، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. ذلك التشريع الإلهي الحكيم هو منهاج الإسلام في الإنفاق لما فيه من سدّ حاجة الفقراء في كرامة وعزة، وتطهير مال الأغنياء، وتحقيق التعاون على البر والتقوى؛ ابتغاء وجه الله دون قهر أو إكراه.

(٢٧٥) الذين يتعاملون بالربا لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الجنون؛ ذلك لأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا، في أن كلا منهما حلال، ويؤدي إلى زيادة المال، فأكذبهم الله، وبين أنه أحل البيع وحرم الربا؛ لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات، ولما في الربا من استغلال وضياع وهلاك. فمن بلغه نهى الله عن الربا فارتدع، فله ما مضى قبل التحريم لا إثم عليه فيه، وأمره إلى الله فيما يستقبل من زمانه، فإن استمر على توبته فالله لا يضيع أجر المحسنين، ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهى الله عنه، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(٢٧٦) يُنْقَصُ الله الربا ويذهب بركته، ويضاعف الأجر للمتصدقين، ويبارك لهم في أموالهم. والله لا يحب كل مُصِرٍّ على كفره، مُسْتَحِلٍّ أكل الربا، متمادي في الإثم والحرام ومعاصي الله.

(٢٧٧) إن الذين أيقنوا بالله واليوم الآخر، وعملوا الأعمال الطيبة، وأدوا الصلاة كما أمر الله ورسوله، وأخرجوا زكاة أموالهم،

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

لهم ثواب عظيم خاص بهم عند ربهم ورازقهم، ولا يلحقهم خوف في آخرتهم، ولا حزن على ما فاتهم من حظوظ دنياهم.

(٢٧٨) يامن آمنتم بالله واتبعتم رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولاً وعملاً.

(٢٧٩) فإن لم ترتدعوا عما نهاكم الله عنه فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن رجعتم إلى ربكم وتركتم أكل الربا فلکم أخذ ما أقرضتم من مال دون زيادة، لا تظلمون أحداً بأخذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ولا يظلمكم أحد بنقص ما أقرضتم.

(٢٨٠) وإن كان المدين غير قادر على السداد فأمهله إلى أن ييسر الله له رزقاً فيدفع إليكم مالكم، وإن تركوا رأس المال كله وتضعوه عن المدين فهو أفضل لكم، إن كنتم تعلمون فضل ذلك، وأنه خير لكم في الدنيا والآخرة.

(٢٨١) واحذروا -أيها الناس- يوماً ترجعون فيه إلى الله، وهو يوم القيامة، حيث تعرضون على الله ليحاسبكم، فيجازي كل واحد منكم بما عمل من خير أو شر دون أن يناله ظلم. وفي الآية إشارة إلى أن اجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية، تكميل للإيمان وحقوقه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعمل الصالحات.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُمْلِعَ لَهُ فْلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمِ كُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(٢٨٢) يا من آمنتم بالله واتبعتم رسوله
محمدًا صلى الله عليه وسلم إذا تعاملتم
بدين إلى وقت معلوم فاكتبوه؛ حفظاً
للمال ودفعاً للنزاع. وليقم بالكتابة رجل
أمين ضابط، ولا يمتنع من علمه الله
الكتابة عن ذلك، وليقم المدين بإملاء
ماعليه من الدين، وليراقب ربه، ولا
ينقص من دينه شيئاً. فإن كان المدين
محجوراً عليه لتبذيره وإسرافه، أو كان
صغيراً أو مجنوناً، أو لا يستطيع النطق
لخرس به أو عدم قدرة كاملة على الكلام،
فليتول الإملاء عن المدين القائم بأمره،
واطلبوا شهادة رجلين مسلمين بالغين
عقلين من أهل العدالة. فإن لم يوجد
رجلان، فاطلبوا شهادة رجل وامرأتين
ترضون شهادتهم، حتى إذا نسيت
إحدهما ذكرتها الأخرى، وعلى الشهاء
أن يجيبوا من دعاهم إلى الشهادة، وعليهم
أداؤها إذا مدعوا إليها، ولا تمأوا من كتابة
الدين قليلاً أو كثيراً إلى وقته المعلوم.
ذلكم أعدل في شرع الله وهديه، وأعظم
عونا على إقامة الشهادة وأدائها، وأقرب
إلى نفي الشك في جنس الدين وقدره
وأجله، لكن إن كانت المسألة مسألة بيع
وشراء، بأخذ سلعة ودفع ثمنها في
الحال، فلا حاجة إلى الكتابة، ويستحب

الإشهاد على ذلك منعاً للنزاع والشقاق، ومن الواجب على الشاهد والكاتب أداء الشهادة على وجهها والكتابة كما أمر الله، ولا يجوز
لصاحب الحق ومن عليه الحق الإضرار بالشهود والكتاب، وإن تفعلوا ما نهيتم عنه فإنه خروج عن طاعة الله، وعاقبة ذلك حالة
بكم. وخافوا الله في جميع ما أمركم به، ونهاكم عنه، ويعلمكم الله جميع ما يصلح دنياكم وأخراكم. والله بكل شيء عليم، فلا
يخفى عليه شيء من أموركم، وسيجازيكم على ذلك.

(٢٨٣) وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا من يكتب لكم فادفعوا إلى صاحب الحق شيئاً يكون عنده ضماناً لحقه إلى أن يرد المدين ما عليه من دين ، فإن وثق بَعْضُكم ببعض فلا حرج في ترك الكتابة والإشهاد والرهن ، ويبقى الدين أمانة في ذمة المدين ، عليه أداؤه ، وعليه أن يراقب الله فلا يخون صاحبه . فإن أنكر المدين ما عليه من دين ، وكان هناك من حضر وشهد ، فعليه أن يظهر شهادته ، ومن أخفى هذه الشهادة فهو صاحب قلب غادر فاجر . والله المطلع على السرائر ، المحيط علمه بكل أموركم ، سيحاسبكم على ذلك .

(٢٨٤) لله ملك السموات والأرض وما فيهما ملكاً وتديباً وإحاطة ، لا يخفى عليه شيء . وما تظهره مما في أنفسكم أو تخفوه فإن الله يعلمه ، وسيحاسبكم به ، فيعفو عمن يشاء ، ويؤاخذ من يشاء . والله قادر على كل شيء ، وقد أكرم الله المسلمين بعد ذلك فعفا عن حديث النفس وخطرات القلب ، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢٨٥) صدق وأيقن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه من ربه ، والمؤمنون كذلك أيقنوا وعملوا بالقرآن

العظيم ، كل منهم صدق بالله رباً وإلهاً متصفاً بصفات الجلال والكمال ، وأن الله ملائكة كراماً ، وأنه أنزل كتباً ، وأرسل إلى خلقه رسلاً ، لا تؤمن - نحن المؤمنون - ببعضهم وننكر بعضهم ، بل تؤمن بهم جميعاً . وقال الرسول والمؤمنون : سمعنا ياربنا ما أوحيت به ، وأطعنا في كل ذلك ، نرجو أن تغفر - بفضلك - ذنوبنا ، فأنت الذي رببتنا بما أنعمت به علينا ، وإليك - وحدك - مرجعنا ومصيرنا .

(٢٨٦) دين الله يسر لا مشقة فيه ، فلا يطلب الله من عباده ما لا يطيقونه ، فمن فعل خيراً نال خيراً ، ومن فعل شراً نال شراً . ربنا لا تعاقبنا إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا ، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ، ربنا ولا تكلفنا من الأعمال الشاقة ما كلفته من قبلنا من العصاة عقوبة لهم ، ربنا ولا تحمّلنا ما لا نستطيعه من التكاليف والمصائب ، وامح ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، وأحسن إلينا ، أنت مالك أمرنا ومدبره ، فانصرنا على من جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ، وكذبوا نبئك محمداً صلى الله عليه وسلم ، واجعل العاقبة لنا عليهم في الدنيا والآخرة .

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ۖ فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضٌ فليؤدِّ الَّذِي أَوْثَمَ أَمَنَّتَهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَنِ اللَّهِ قَلْبُهُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ۖ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ۖ أَمِنْ الرَّسُولِ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ۖ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

سُورَةُ آلِ عَمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ
الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۝ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

﴿سورة آل عمران﴾

(١) ﴿الْعَمَّ﴾ ، سبق الكلام عليها في أول سورة البقرة .

(٢) هو الله ، لا معبود بحق إلا هو ، المتصف بالحياة الكاملة كما يليق بجلاله ، القائم على كل شيء .

(٣ ، ٤) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ ، مُصَدِّقًا لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابٍ وَرَسُولٍ ، وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْقُرْآنِ ؛ لِإِرشَادِ الْمُتَّقِينَ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَصَلَاحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَأَنزَلَ مَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ ، لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يُغَالِبُ ، ذُو انتِقَامٍ مَنْ جَحَدَ حُجْجَهُ وَأَدْلَتَهُ ، وَتَفَرَّدَهُ بِالْأُلُوهِيَةِ .

(٥) إِنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِعِلْمِهِ بِالْخَلَائِقِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ .

(٦) هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَخْلُقُكُمْ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ كَمَا يَشَاءُ ، مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَحَسَنٍ وَقَبِيحٍ ، وَشَقِيٍّ وَسَعِيدٍ ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالِبُ ، الْحَكِيمُ فِي أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

(٧) هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ : مِنْهُ آيَاتٌ وَاضِحَاتٌ الدَّلَالَةِ ، هُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْاشْتِبَاهِ ، وَيُرَدُّ مَا خَالَفَهُ إِلَيْهِ ، وَمِنْهُ آيَاتٌ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ تَحْتَمِلُ بَعْضُ الْمَعَانِي ، وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمُرَادُ مِنْهَا إِلَّا بِضَمِّهَا إِلَى الْحُكْمِ ، فَأَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ الزَّائِغَةِ ، لِسُوءِ قَصْدِهِمْ يَتَّبِعُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَحْدَهَا ؛ لِيُثِيرُوا الشُّبُهَاتِ عِنْدَ النَّاسِ ، كَيْ يَضِلُّوهُمْ ، وَلِتَأْوِيلَهُمْ لَهَا عَلَى مَذَاهِبِهِمُ الْبَاطِلَةِ . وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَّا اللَّهُ . وَالْمُتَمَكِّنُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهَذَا الْقُرْآنِ ، كُلُّهُ قَدْ جَاءَنَا مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُرَدُّونَ مُتَشَابِهَةً إِلَى مُحْكَمِهِ ، وَإِنَّمَا يَفْهَمُ وَيَعْقِلُ وَيَتَدَبَّرُ الْمَعَانِي عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ أُولُو الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ .

(٨) وَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا لَا تُصْرِفْ قُلُوبَنَا عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ بَعْدَ أَنْ مَنَنْتَ عَلَيْنَا بِالْهُدَايَةِ لَدِينِكَ ، وَامْنَحْنَا مِنْ فَضْلِكَ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ : كَثِيرُ الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ ، تَعْطِي مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

(٩) يَا رَبَّنَا إِنَّا نَقْرُؤُكَ وَنُشْهِدُ بِأَنَّكَ سَتَجْمَعُ النَّاسَ فِي يَوْمٍ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ مَا وَعَدْتَ بِهِ عِبَادَكَ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابِ آلِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ
 وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
 لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ
 يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي
 الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
 وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
 وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ
 أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
 وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

(١٠) إن الذين جحدوا الحق وأنكروه ، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً إن وقع بهم في الدنيا ، ولن تدفعه عنهم في الآخرة ، وهؤلاء هم حطب النار يوم القيامة .

(١١) شأن الكافرين في تكذيبهم وما ينزل بهم ، شأن آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين ، أنكروا آيات الله الواضحة ، فعاجلهم بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعنادهم . والله شديد العقاب لمن كفر به وكذب رسله .

(١٢) قل - يا محمد - ، للذين كفروا من اليهود وغيرهم والذين استهانوا بنصرك في «بذر» : إنكم ستُهزَمون في الدنيا وستموتون على الكفر ، وتحشرون إلى نار جهنم ؛ لتكون فراشاً دائماً لكم ، وبئس الفراش .

(١٣) قد كان لكم -أيها اليهود المتكبرون المعاندون- دلالة عظيمة في جماعتين تقابلتا في معركة «بذر» : جماعة تقاتل من أجل دين الله ، وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجماعة أخرى كافرة بالله ، تقاتل من أجل الباطل ، ترى المؤمنين في العدد مثليهم رأي العين ، وقد جعل الله ذلك سبباً لنصر المسلمين

عليهم . والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده . إن في هذا الذي حدث لَعظة عظيمة لأصحاب البصائر الذين يهتدون إلى حكم الله وأفعاله .

(١٤) حُسْنٌ للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين ، والأموال الكثيرة من الذهب والفضة ، والخيول الحسان ، والأنعام من الإبل والبقر والغنم ، والأرض المتخذة للغراس والزراعة ، وذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية . والله عنده حسن المرجع والثواب ، وهو الجنة .

(١٥) قل - يا محمد - : أخبركم بخير مما زُين للناس في هذه الحياة الدنيا ، لمن راقب الله وخاف عقابه جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، خالدين فيها ، ولهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفاس وسوء الخلق ، ولهم أعظم من ذلك : رضوان من الله . والله مُطَّلِعٌ على سرائر خلقه ، عالم بأحوالهم ، وسيجازيهم على ذلك .

(١٦) هؤلاء العباد المتقون يقولون : إننا آمنّا بك ، واتبعنا رسولك محمداً صلى الله عليه وسلم ، فامحُ عنا ما اقترفناه من ذنوب ، ونجنا من عذاب النار .

(١٧) هم الذين اتصفوا بالصبر على الطاعات ، وعن المعاصي ، وعلى ما يصيبهم من أقدار الله المؤلمة ، وبالصدق في الأقوال والأفعال وبالطاعة التامة ، وبالإتفاق سرّاً وعلانية ، وبالاستغفار في آخر الليل ؛ لأنه مظنة القبول وإجابة الدعاء .

(١٨) شهد الله أنه المتفرد بالإلهية ، وقرّن شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم ، على أجل مشهود عليه ، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل ، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ، الحكيم في أقواله وأفعاله .

(١٩) إن الدين الذي ارتضاه الله لخلقهم وأرسل به رسله ، ولا يقبل غيره هو الإسلام ، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية ، واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الذي لا يقبل الله من أحد بعد بعثته ديناً سوى الإسلام الذي أرسل به . وما وقع الخلاف

بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فتفرقوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ؛ بغياً وحسداً طلباً للدنيا . ومن يجحد آيات الله المنزلة وآياته الدالة على ربوبيته وألوهيته ، فإن الله سريع الحساب ، وسيجزئهم بما كانوا يعملون .

(٢٠) فإن جادلك - يا محمد - أهل الكتاب في التوحيد بعد أن أقمت الحجة عليهم فقل لهم : إنني أخلصت لله وحده فلا أشرك به أحداً ، وكذلك من اتبعني من المؤمنين ، أخلصوا لله وانقادوا له . وقل لهم ولمشركي العرب وغيرهم : إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم والهدى والحق ، وإن توليتم فحسابكم على الله ، وليس عليّ إلا البلاغ ، وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحجة . والله بصير بالعباد ، لا يخفى عليه من أمرهم شيء .

(٢١) إن الذين يجحدون بالدلائل الواضحة وما جاء به المرسلون ، ويقتلون أنبياء الله ظلماً بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل واتباع طريق الأنبياء ، فبشرهم بعذاب موجه .

(٢٢) أولئك الذين بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، فلا يقبل لهم عمل ، وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله .

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
اللَّهِ لَا سَلَمٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بَيَّاتٍ لِلَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
 فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
 مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتَعَزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ
 مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلِ
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُيُوتِهِمْ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

(٢٣) أرأيت - يا محمد - أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين أتاهم الله حظاً من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق ، يُدْعَوْنَ إلى ما جاء في كتاب الله - وهو القرآن - ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه ، فإن لم يوافق أهواءهم يَأْبَ كثير منهم حكم الله ؛ لأن من عادتهم الإعراض عن الحق ؟

(٢٤) ذلك الانصراف عن الحق سببه اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب ؛ بأنهم لن يعذبوا إلا أياماً قليلة ، وهذا الاعتقاد أدى إلى جرأتهم على الله واستهانتهم بدينه ، واستمرارهم على دينهم الباطل الذي خَدَعُوا به أنفسهم .

(٢٥) فكيف يكون حالهم إذا جمعهم الله ليحاسَبُوا في يوم لا شك في وقوعه - وهو يوم القيامة - ، وأخذ كل واحد جزاء ما اكتسب ، وهم لا يظلمون شيئاً ؟

(٢٦) قل - يا محمد متوجهاً إلى ربك بالدعاء - : يا مَنْ لك الملك كله ، أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَنْ تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ ، وتسلب الملك مَنْ تَشَاءُ ، وتهب العزة في الدنيا والآخرة مَنْ تَشَاءُ ، وتجعل الذلَّة على مَنْ تَشَاءُ ، بيدك الخير ، إنك - وحدك - على

كل شيء قدير . وفي الآية إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه .

(٢٧) ومن دلائل قدرتك أنك تُدْخِلُ الليل في النهار ، وتدْخِلُ النهار في الليل ، فيطول هذا ويقصر ذاك ، وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ الذي لا حياة فيه ، كما يخرج الزرع من الحب ، والمؤمن من الكافر ، وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ كما يخرج البيض من الدجاج ، وترزق مَنْ تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

(٢٨) ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالحبّة والنصرة من دون المؤمنين ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ اللَّهِ ، والله بريء منه ، إِلَّا أَن تَكُونُوا ضِعَافاً خَائِفِينَ فَقَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَكُمْ فِي مَهَادَنَتِهِمْ اتِّقَاءً لِّشُرِّهِمْ ، حتى تقوى شوكتكم ، ويحذركم الله نفسه ، فاتقوه وخافوه . وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والجزاء .

(٢٩) قل - يا محمد - للمؤمنين : إن تكتموا ما استقر في قلوبكم من موالة الكافرين ونصرتهم أو تظهروا ذلك لا يَخْفَ على الله منه شيء ، فإن علمه محيط بكل ما في السموات وما في الأرض ، وله القدرة التامة على كل شيء .

(٣٠) وفي يوم القيامة يوم الجزاء تجد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفراً لتجزئ به ، وما عملت من عمل سيئ تجد في انتظارها أيضاً ، فتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمناً بعيداً . فاستعدوا لهذا اليوم ، وخافوا بطش الإله الجبار . ومع شدة عقابه فإنه سبحانه رؤوف بالعباد .

(٣١) قل - يا محمد - : إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني وأمنوا بي ظاهراً وباطناً ، يحببكم الله ، ويمح ذنوبكم ، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين ، رحيم بهم .

وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله - تعالى - وليس متبعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حق الاتباع ، مطيعاً له في أمره ونهيه ، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الاتباع .

(٣٢) قل - يا محمد - : أطيعوا الله باتباع كتابه ، وأطيعوا الرسول باتباع سنته في حياته وبعد مماته ، فإن هم أعرضوا عنك ، وأصروا على ما هم عليه من كفر وضلال ، فليسوا أهلاً لمحبة الله ؛ فإن الله لا يحب الكافرين .

(٣٣) إن الله اختار آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران ، وجعلهم أفضل أهل زمانهم .

(٣٤) هؤلاء الأنبياء والرسل سلسلة طهر متواصلة في الإخلاص لله وتوحيده والعمل بوحيه . والله سميع لأقوال عباده ، عليم بأفعالهم ، وسيجازيهم على ذلك .

(٣٥) اذكر - يا محمد - ما كان من أمر مريم وأمها وابنها عيسى عليه السلام ؛ لترد بذلك على من ادعوا ألوهية عيسى أو بنوته لله سبحانه ، إذ قالت امرأة عمران حين حملت : يا رب أني جعلت لك ما في بطني خالصاً لك ، لخدمة «بيت المقدس» ، فتقبل مني ، إنك أنت وحدك السميع لدعائي ، العليم بنييتي .

(٣٦) فلما تم حملها ووضعت مولودها قالت : رب أني وضعتها أنثى لا تصلح للخدمة في «بيت المقدس» - والله أعلم بما وضعت ، وسوف يجعل الله لها شأنًا - وقالت : وليس الذكر الذي أردت للخدمة كالأنثى في ذلك ؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها ، وإنني سميتها مريم ، وإنني حصنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك .

(٣٧) فاستجاب الله دعاءها وقبل منها نذرًا أحسن قبول ، وتولّى ابنتها مريم بالرعاية فأنبتها نباتاً حسناً ، ويسر الله لها زكريا عليه السلام كافلاً ، فأسكنها في مكان عبادته ، وكان كلما دخل عليها هذا المكان وجد عندها رزقاً هنيئاً معداً قال : يا مريم من أين لك هذا الرزق الطيب ؟ قالت : هو رزق من عند الله . إن الله - بفضل - يرزق من يشاء من خلقه بغير حساب .

(٣٨) عندما رأى زكريا ما أكرم الله به مريم من رزقه وفضله توجه إلى ربه قائلاً : يا رب أعطني من عندك ولداً صالحاً مباركاً ، إنك سميع الدعاء لمن دعاك .

(٣٩) فنادته الملائكة وهو واقف بين يدي الله في مكان صلاته يدعوه : أن الله يخبرك بخبر يسرك ، وهو أنك ستزق بولد اسمه يحيى ، يُصدّق بكلمة من الله - وهو عيسى ابن مريم عليه السلام - ، ويكون يحيى سيداً في قومه ، له المكانة والمنزلة العالية ، وحصوراً لا يأتي الذنوب والشهوات الضارة ، ويكون نبياً من الصالحين الذين بلغوا في الصلاح ذروته .

(٤٠) قال زكريا فرحاً متعجباً : رب أنى يكون لي غلام مع أن الشيخوخة قد بلغت مني مبلغها ، وامرأتي عقيم لا تلد؟ قال : كذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة المخالفة للعادة .

(٤١) قال زكريا : رب اجعل لي علامة أستدل بها على وجود الولد مني ؛ ليحصل لي السرور والاستبشار ، قال : علامتك التي طلبتها : ألا تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة إليهم ، مع أنك سوي صحيح ، وفي هذه

المدة أكثر من ذكر ربك ، وصل له أواخر النهار وأوائله .

(٤٢) واذكر - يا محمد - حين قالت الملائكة : يا مريم إن الله اختارك لطاعته وطهرتك من الأخلاق الرذيلة ، واختارك على نساء العالمين في زمانك .

(٤٣) يا مريم داومي على الطاعة لربك ، وقومي في خشوع وتواضع ، واسجدي واركعي مع الراكعين ؛ شكراً لله على ما أولاك من نعمه .

(٤٤) ذلك الذي قصصناه عليك - يا محمد - من أخبار الغيب التي أوحاها الله إليك ، إذ لم تكن معهم حين اختلفوا في كفالة مريم أيهم أحق بها وأولى ، ووقع بينهم الخصام ، فأجروا القرعة بإلقاء أقلامهم ، ففاز زكريا عليه السلام بكفالتها .

(٤٥) وما كنت - يا نبي الله - هناك حين قالت الملائكة : يا مريم إن الله يُبشرك بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أي يقول له : «كن» ، فيكون ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين عند الله يوم القيامة .

هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَآذُنُكَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

(٤٦) ويكلم الناس في المهد بعد ولادته ، وكذلك يكلمهم في حال كهولته بما أوحاه الله إليه . وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد ، وهو معدود من أهل الصلاح والفضل في قوله وعمله .

(٤٧) قالت مريم متعجبة من هذا الأمر : أنى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بغي؟ قال لها الملك : هذا الذي يحدث لك ليس بمستبعد على الإله القادر ، الذي يوجد ما يشاء من العدم ، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له : «كن» فيكون .

(٤٨) ويعلمه الكتابة ، والسداد في القول والفعل ، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام ، والإنجيل الذي أنزل الله عليه .

(٤٩) ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل ، ويقول لهم : إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدل على أنني مرسل من الله ، وهي أنني أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً حقيقياً بإذن الله ، وأشفي من ولد أعمى ، ومن به برص ، وأحيي من كان ميتاً بإذن الله ، وأخبركم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم من طعامكم . إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلاً على

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

أنى نبي الله ورسوله ، إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته ، مقررين بتوحيده .

(٥٠) وجئتكم مصدقاً بما في التوراة ، ولأحل لكم بعض ما حرّمه الله عليكم تخفيفاً من الله ورحمة ، وجئتكم بحجة من ربكم على صدق ما أقول لكم ، فاتقوا الله ولا تخالفوا أمره ، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله .

(٥١) إن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه ، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له ، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه .

(٥٢) فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلص : من يكون معي في نصرة دين الله؟ قال أصفياء عيسى : نحن أنصار دين الله والداعون إليه ، صدّقنا بالله واتبعناك ، واشهد أنت يا عيسى بأننا مسلمون لله بالتوحيد والطاعة .

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ ارْفُاعَكَ
إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

(٥٣) ربنا صدقنا بما أنزلت من الإنجيل ،
واتبعنا رسولك عيسى عليه السلام ،
فاجعلنا ممن شهدوا لك بالوحدانية
ولأنبيائك بالرسالة ، وهم أمة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون
للرسل بأنهم بلغوا أمهم .

(٥٤) ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل
بعيسى عليه السلام ، بأن وُكِّلوا به من
يقتله غيلة ، فألقى الله شبه عيسى على
رجل دلهم عليه فأمسكوا به ، وقتلوه
وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام ،
والله خير الماكرين . وفي هذا إثبات صفة
المكر لله - تعالى - على ما يليق بجلاله
وكماله ؛ لأنه مكر بحق ، وفي مقابلة مكر
الماكرين .

(٥٥) ومكر الله بهم حين قال الله
لعيسى : إني قابضك من الأرض من غير
أن ينالك سوء ، ورافعك إليّ ببدنك
وروحك ، ومخلصك من الذين كفروا
بك ، وجاعل الذين اتبعوك أي على دينك
وما جئت به عن الله من الدين والبشارة
بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، بعد بعثته ، والتزموا
شريعته ظاهرين على الذين جحدوا
نبوتك إلى يوم القيامة ، ثم إليّ مصيركم
جميعاً يوم الحساب ، فأفصل بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون من أمر عيسى عليه
السلام .

(٥٦) فأما الذين كفروا بالمسيح من اليهود أو غلّوا فيه من النصارى ، فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا : بالقتل وسلب الأموال وإزالة
الملك ، وفي الآخرة بالنار ، ومالهم من ناصر ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله .

(٥٧) وأما الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، فيعطيه الله ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص . والله لا يحب الظالمين
بالشرك والكفر .

(٥٨) ذلك الذي نقصه عليك في شأن عيسى ، من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك ، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين
الحق والباطل ، فلا شك فيه ولا امتراء .

(٥٩) إِنَّ خَلَقَ اللَّهُ لعيسى من غير أب مثله كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم ؛ إذ خلقه من تراب الأرض ، ثم قال له : «كن
بشراً» فكان . فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة ؛ فأدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم ، واتفق الجميع
على أنه عبد من عباد الله .

(٦٠) الحق الذي لا شك فيه في أمر عيسى هو الذي جاءك - يا محمد - من ربك ، فدم على يقينك ، وعلى ما أنت عليه من ترك
الافتراء ، ولا تكن من الشاكين ، وفي هذا تثبيت وطمأننة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦١) فَمَنْ جَادَلَكَ - يا محمد - في المسيح عيسى ابن مريم من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى عليه السلام ، فقل لهم : تعالوا
نُخْضِرْ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن يُنزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في
قولهم ، المصيرين على عنادهم .

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَتَّاهِلُ الْكَتَّابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَّاهِلُ الْكَتَّابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلِي النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَّاهِلُ
الْكَتَّابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِثَانِيتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

(٦٢) إن هذا الذي أنبأتك به من أمر
عيسى لهو النبأ الحق الذي لا شك فيه ،
وما من معبود يستحق العبادة إلا الله
وحده ، وإن الله لهو العزيز في ملكه ،
الحكيم في تدبيره وفعله .

(٦٣) فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك
فهم المفسدون ، والله عليم بهم ،
وسيجازيهم على ذلك .

(٦٤) قل - يا محمد - لأهل الكتاب من
اليهود والنصارى : تعالوا إلى كلمة عدل
وحق نلتزم بها جميعاً : وهي أن نخضع لله
وحده بالعبادة ، ولا نتخذ أي شريك معه ،
من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو
غير ذلك ، ولا يدين بعضنا لبعض
بالطاعة من دون الله . فإن أعرضوا عن هذه
الدعوة الطيبة فقولوا لهم - أيها المؤمنون - :
اشهدوا علينا بأننا مسلمون منقادون لربنا
بالعبودية والإخلاص . والدعوة إلى كلمة
سواء ، كما توجّه إلى اليهود والنصارى ،
توجّه إلى من جرى مجراهم .

(٦٥) يا أصحاب الكتب المنزلة من اليهود
والنصارى ، كيف يجادل كل منكم في أن
إبراهيم عليه السلام كان على ملته ، وما
أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده؟ أفلا
تفقهون خطأ قولكم : إن إبراهيم كان

يهودياً أو نصرانياً ، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت بعد وفاته بحين؟

(٦٦) ها أنتم يا هؤلاء جادلتم رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم فيما لكم به علم من أمر دينكم ، مما تعتقدون صحته في
كتبكم ، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم؟ والله يعلم الأمور على خفائها ، وأنتم لا تعلمون .

(٦٧) ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، فلم تكن اليهودية ولا النصرانية إلا من بعده ، ولكن كان متبعاً لأمر الله وطاعته ، مستسلماً
لربه ، وما كان من المشركين .

(٦٨) إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به ، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه ، وهذا النبي محمد صلى الله عليه
وسلم والذين آمنوا به . والله ولي المؤمنين به المتبعين شرعه .

(٦٩) تمنّت جماعة من اليهود والنصارى لو يضلونكم - أيها المسلمون - عن الإسلام ، وما يضلونكم إلا أنفسهم وأتباعهم ، وما يدرون
كل ولا يعلمونه .

(٧٠) يا أهل التوراة والإنجيل لم تجحدون آيات الله التي أنزلها على رسله في كتبكم ، وفيها أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو
الرسول المنتظر ، وأن ما جاءكم به هو الحق ، وأنتم تشهدون بذلك؟ ولكنكم تنكرونه .

(٧١) يا أهل التوراة والإنجيل لم تخلطون الحق في كتبكم بما حرفتموه وكتبتموه من الباطل بأيديكم ، وتُخفون ما فيهما من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن دينه هو الحق ، وأنتم تعلمون ذلك؟

(٧٢) وقالت جماعة من أهل الكتاب من اليهود : صدّقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخره ؛ لعلهم يتشككون في دينهم ، ويرجعون عنه .

(٧٣) ولا تصدّقوا إلا من تبع دينكم فكان يهودياً ، قل لهم -يا محمد- : إن الهدى والتوفيق هدى الله وتوفيقه للإيمان الصحيح . وقالوا : لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم فيساووكم في العلم به ، وتكون لهم الأفضلية عليكم ، أو أن يتخذوه حجة عند ربكم يغلبونكم بها . قل لهم -يا محمد- : إن الفضل والعطاء والأمور كلها بيد الله وتحت تصرفه ، يؤتيها من يشاء من آمن به وبرسوله . والله واسع عليم ، يسع بعلمه وعطائه جميع مخلوقاته ، من يستحق فضله ونعمه .

(٧٤) إن الله يختص من خلقه من يشاء بالنبوة والهداية إلى أكمل الشرائع . والله ذو الفضل العظيم .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوَدُّونَ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنُ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

(٧٥) ومن أهل الكتاب من اليهود من إن تأمنه على كثير من المال يؤدّه إليك من غير خيانة ، ومنهم من إن تأمنه على دينار واحد لا يؤدّه إليك ، إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبته . وسبب ذلك عقيدة فاسدة تجعلهم يستحلّون أموال العرب بالباطل ، ويقولون : ليس علينا في أكل أموالهم إثم ولا حرج ؛ لأن الله أحلّها لنا . وهذا كذب على الله ، يقولونه بالسنتهم ، وهم يعلمون أنهم كاذبون .

(٧٦) ليس الأمر كما زعم هؤلاء الكاذبون ، فإن المتقي حقاً هو من أوفى بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة والإيمان به وبرسوله والتزم هديه وشرعه ، وخاف الله عز وجل فامتثل أمره وانتهى عما نهى عنه . والله يحب المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي .

(٧٧) إن الذين يستبدلون بعهد الله ووصيته التي أوصى بها في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم ، عوضاً وبدلاً خسيساً من عرض الدنيا وحطامها ، أولئك لا نصيب لهم من الثواب في الآخرة ، ولا يكلمهم الله بما يسرهم ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة بعين الرحمة ، ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر ، ولهم عذاب موجه .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ
وَحْيِهِ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(٧٨) وإن من اليهود لجماعة يحرفون الكلام عن مواضعه ، ويبدلون كلام الله ؛ ليوهموا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل ، وهو التوراة ، وما هو منها في شيء ، ويقولون : هذا من عند الله أوحاه الله إلى نبيه موسى ، وما هو من عند الله ، وهم لأجل دنياهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون .

(٧٩) ما ينبغي لأحد من البشر أن ينزل الله عليه كتابه ويجعله حكماً بين خلقه ويختاره نبياً ، ثم يقول للناس : اعبدوني من دون الله ، ولكن يقول : كونوا حكماء فقهاء علماء بما كنتم تعلمونه غيركم من وحي الله تعالى ، وبما تدرسونه منه حفظاً وعلماً وفقهاً .

(٨٠) وما كان لأحد منهم أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً تعبدونهم من دون الله . أيعقل -أيها الناس- أن يأمرهم بالكفر بالله بعد انقيادكم لأمره؟

(٨١) واذكر -يا محمد- إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء : لئن آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول من عندي ، مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . فهل أقررتم واعترفتكم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي

الموثق؟ قالوا : أقررنا بذلك ، قال : فليشهد بعضكم على بعض ، واشهدوا على أممكم بذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم . وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك .

(٨٢) فمن أعرض عن دعوة الإسلام بعد هذا البيان وهذا العهد الذي أخذه الله على أنبيائه ، فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعة ربهم .

(٨٣) أريد هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب غير دين الله -وهو الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم- ، مع أن كل من في السموات والأرض استسلم وانقاد وخضع لله طوعية -كالمؤمنين- وورعاً عنهم عند الشدائد ، حين لا ينفعهم ذلك وهم كفار ، كما خضع له سائر الكائنات ، وإليه يرجعون يوم المعاد ، فيجازي كلأ بعمله . وهذا تحذير من الله تعالى لخلقه أن يرجع إليه أحد منهم على غير ملة الإسلام .

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كَفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلٌءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

(٨٤) قل لهم -يا محمد- : صدقنا بالله وأطعنا ، فلا رب لنا غيره ، ولا معبود لنا سواه ، وأمنّا بالوحي الذي أنزله الله علينا ، والذي أنزله على إبراهيم خليل الله ، وابنيه إسماعيل وإسحاق ، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ، والذي أنزله على الأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب- وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل ، وما أنزله الله على أنبيائه ، نؤمن بذلك كله ، ولا نفرق بين أحد منهم ، ونحن لله وحده منقادون بالطاعة ، مُقِرُّون له بالربوبية والألوهية والعبادة .

(٨٥) ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والعبودية ، ورسوله النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهراً وباطناً ، فلن يُقبل منه ذلك ، وهو في الآخرة من الخاسرين الذين بنحسوا أنفسهم حظوظها .

(٨٦) كيف يوفق الله للإيمان به ورسوله قوماً جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به ، وشهدوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم حق وما جاء به هو الحق ، وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بوضوح ذلك؟ والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة ، وهم الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل ، فاختاروا الكفر على الإيمان .

(٨٧) أولئك الظالمون جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فهم مطرودون من رحمة الله .

(٨٨) ماكثين في النار ، لا يُرفع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا ، ولا يُؤخر عنهم لمعذرة يعتذرون بها .

(٨٩) إلا الذين رجعوا إلى ربهم بالتوبة النصوح من بعد كفرهم وظلمهم ، وأصلحوا ما أفسدوه بتوبتهم فإن الله يقبلها ، فهو غفور لذنوب عباده ، رحيم بهم .

(٩٠) إن الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا على الكفر إلى الممات لن تُقبل لهم توبة عند حضور الموت ، وأولئك هم الذين ضلوا السبيل ، فأخطؤوا منهجه .

(٩١) إن الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وماتوا على الكفر بالله ورسوله ، فلن يُقبل من أحدهم يوم القيامة ملء الأرض ذهباً ؛ ليفتدي به نفسه من عذاب الله ، ولو افتدى به نفسه فعلاً . أولئك لهم عذاب موجه ، وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله .